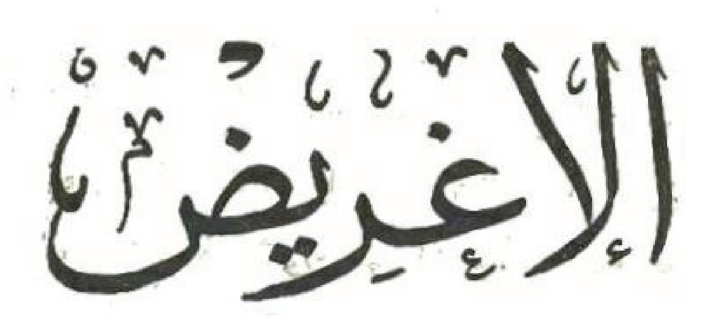


فى الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض

تأليف الامام : تقى الدين السبكى المتوفى عام ٧٥٦هـ .

حققه وعلق حواشيه ونقد مسائله

دكتور / محمود توفيق محمد سعد

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . لا اله الا هو عليه توكلت ، واليه متاب . اللهم صل على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

تقـــديم :

لا ريب فى أن البحث البلاغى ما يزال يواجه بكثير من أنماط بناء اللغة وتشكيلها فى عالم الابداع البيانى ، وبكثير من فارز نتاج السلف والخلف وشكوله ، سواء فى عالم فلسفة ونقد هذا الابداع البيانى ، أو فى عالم تحـرير المصطلحات ، وتبيان المفـاهيم ، واستجلاء ملامح الفروق فى بيئة فكرية واحدة أو بيئات متعددة .

ولا ريب ــ أيضا ــ فى أن البحث البلاغى بحاجة جد شديدة الى الترصد لكل من هذه العوالم كيما ينقد نتاج كل نقدا تفسيريا وتقويميا، وحاجته الى التفسيرى أمس .

ولعـل الترصد لنتاج السلف والخلف فى عالم فلسفة الابداع ونقده ، أو فى عالم تحرير المصطلحات ..... لا يقل منزلة عن الترصد

لنتاج الابداع البيانى متى كانت الغاية انماء واثراء ما يجلى بعضا من ملامح شخصية هذه الامة المسلمة ، لتبقى شاخصة بكيانها ، ماثلة بذاتيتها التى أقامتها وشكلتها آيات الله والحكمة ، ولا سيما فى هذا العصر الذى يسعى فيه كل شىء الى أن يطمس ما استعصى فى هذه الأمة من مشخصاتها فكرا وعقيدة على الطمس ابان الحقب الخوالى .

وتحقيقا لشىء من هذا الانماء والاثراء اقدم رسالة (١) كتبها واحد من ائمة الخلف تعالج قضية تحرير بعض مصطلحات علمية ذات تردداد فى كثير من فروع العلم ، وتكاد مفاهيمها تحظى بشىء من التغيير فى بعض ميادين حضورها وترددادها . ولعل أهمية هذه الرسالة تتمثل — أيضا — فى ابرازها شيئا من العلاقة بين علمين ، لم ينازع فى اصالة احدهما فى عالم الفكر الاسلامى ، ونوزع فى اصالة الآخر منازعة لم تفرغ على علم مثلما افرغت عليه :

= الأول : علم أصول الفقه .

= والآخر : علم البيان .

وسيأتى مزيد بيان لما بينهما من علاقة فى موطن آخر .

هذه الرسالة عقد لصاحبها لواء الامامة فى كثير من فروع العلم والمعرفة وفى صدارتها علم أصول الفقه والعربية : الامام تقى الدين

---

(١) الرسالة تستعمل مجازا فى المرسل به من واحد الى آخر ، وكثر ذلك بين العلماء فيما كان يرسل اليهم من أهل القرى والبوادى طلبا للفتوى والعلم ، وفيما كان يرسله العلماء من أجوبة ، ثم أطلقوها على كل مؤلفة لطيفة أى مشتملة على مسائل قليلة ، وكان ذلك لغرض الاشعار بالقلة وشدة العناية وتمام الاحتياج الى ما اشتملت عليه تلك المؤلفة حملا على النشاط فى حفظها وتدبرها والحرص عليها) ينظر الانبابى على البيانية للصبان ص ٣٠ .

السبكى : على بن عبد الكافى بن على بن تمام الانصارى الخزرجى ، المولود بسبك العبيد من أعمال المنوفيه بمصر فى صفر الخير عام (٧٥٦ هـ) والمتوفى بظاهر القاهرة فى جمادى الآخرة عام (٧٥٦ هـ) ولا أحسب أن « التقى السبكى » بحاجة الى تعريف به عند أهل العلم ، فالرجل كان أماما ، قل ان يكون أحد من أهل العلوم الاسلامية لم يطلع على شىء من نتاجه ، أو نتاج ولديه الامامين : « تاج الدين » وهو امام فى أصول الفقه (٢) و « بهاء الدين » وهو امام فى علم البيان (٣) .

ولا احسب ان معالم حياة التقى بعيدة ، انها فى مرمى عين البصير (٤) .

المهم ان « التقى » كانت له فى علوم العربية مكانة لا تخفى ، ولا سيما فى تحرير دقائقها ، فورثت مكتبة العربية عنه نتاجا وفيرا وثمينا .

أذكر منه هنا (٥) :

---

(٢) هو الامام عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى ت ٧٧١ هـ صاحب جمع الجوامع ، وتتمة الابهاج فى شرح المنهاج فى أصول الفقه ، وصاحب طبقات الشافعية الكبرى .

(٣) هو أبو أحمد بن على بن عبد الكافى السبكى ت ٧٧٣ هـ صاحب عروس الأفراح .

(٤) راجع ترجمته ان أحببت فى طبقات الشافية للتاج السبكى ١٤٦/٦ ـ ٢٢٧ ، الدرر الكامنة لابن حجر ٦٣/٣ ـ ٧١ ، شذرات الذهب ١٨٠/٦ ـ ١٨١ ، البيت السبكى لمحمد الصادق حسين ، ومعجم المؤلفين ١٢٧/٧ ـ ١٢٨ ، وهدية العارفين ٧٢٠/١ ـ ٧٢٢ .

(٥) راجع كشف الظنون ص ٣١ ، ٩٢ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ٢٤٦، ٢٦١ ، ٩٠٩ .

وهدية العارفين ٧٢٠/١ ـ ٧٢٢ ، الأشباه والنظائر للامام السيوطى .

١ ـ الاختصاص فى علم البيان •

٢ ـ الأسـئلة فى العربية : أسـئلة سألها محمـد بن عيسى السكسكى وأجاب عنها التقى السبكى •

٣ ـ الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص •

٤ ـ الاقناع فى الكلام على أن (لو) للامتناع •

٥ ـ البصر الناقد فى « لا كلمت كل واحد » •

٦ ـ بيان احكام الربط فى اعتراض الشرط على الشرط •

٧ ـ الحكم والأناة فى اعراب قوله تعالى : غير ناظرين اناه •

٨ ـ الرفدة فى معنى وحده •

٩ ـ كنز الزخائر وهدية المسافر الى النور السافر •

وهو مخطوط (١٥٢ ورقة) بدار الكتب المصرية • منـه عدة نسخ •

١٠ ـ نيل العلا فى العطف بلا •

والحق ان الامام « التقى » له فى العربية ولا سيما فى « البيان » نظرات وتدقيقات بحاجة الى دراسة وتمحيص ، وقد نقل ولده « البهاء » فى عروس الافراح كثيرا منها وكذلك نقل ولده « التاج » بعضـا فى طبقات الشافعية الكبرى وفى فتاوى السبكى غير قليل منها •

ولعلى أفرغ لآراء « التقى » البيانية فأدرسها مستقلة ، أو أعين من يفرغ لها • ان شاء الله تعالى •

ومن هذا الباب أقدم تحقيقا وتعليقا ونقدا لرسالة من رسـائله لها وثيق اعتلاق بعلم البيان :

رسالة « الأغريض فى الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض » (٦) ذلك عنوانها الذى كتب على ظهـر الورقة الأولى من النسخة الفريدة التى عثرت بهـا بدار الكتب المصرية ، وكذلك هو فى هدية العارفين للبغدادى (٧) .

غير أنه قد ورد اسمها مختصرا فى مراجع أخرى ، جاء اسمها : « الأغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض » فى كشف الظنون (٨) والاتقان للسيوطى (٩) وحاشية الأنيابى على الرسالة البيانية (١٠) .

وجاءت تسميتها « حد القريض فى الفرق بين الكناية والتعريض » فى كل من كشف الظنون (١١) وهدية العارفين (١٢) .

غير أنى آثرت ما ألفيته فى النسخة المخطوطة ، ولا سـيما أنه يتفق مع ما فى « هدية العارفين » ، ومع واقع الرسالة حيث تعـرض فيها للحديث عن الحقيقة والمجاز .

مما مضى تتجلى وثاقه نسبة هذه الرسالة للتقى السبكى ويزيدها وثاقة أن نقلت منها نصوص ، فى بعض المراجع منسوبة حينا للتقى ، وحينا غير منسوبة :

نقلت منســوبة له فى « الاتقان » ، و « حاشية الانبــابى على

---

(٦) الاغريض هو المغنى المجيد ، وماء المطر ، والطلع ، وكل أبيض طرى والمعنى الأول هو أقرب الى المراد هنا .

(٧) جـ ١ ص ٧٢١ طبعة وكالة المعارف ــ استانبول سنة ١٩٥١ .

(٨) جـ ١ ص ١٣٠

(٩) جـ ٢ ص ٤٨ طبعة سنة ١٣٤٤ هـ ــ القاهرة .

(١٠) ص ١٠٤ ، ١٦٥ طبعة بولاق سنة ١٣١٥ هـ .

(١١) جـ ١ ص ٦٣٤ (١٢) جـ ١ ص ٧٢١ .

البيانية » وفى « عروس الأفراح » فى موطن (١٣) وفى موطن آخر نقلت نصوص دون نسبتها للتقى (١٤) •

وقد قابلت ما نقل منها على النسخة الفريدة التى عثرت بها فى مكتبة « طلعت » بدار الكتب المصرية برقم (٣٣٨ بلاغة) ويبدو أن هذه النسخة كانت ضمن مجموع فافردت عنه ، ذلك أن وجه الورقة الأولى منها (ورقة العنوان) مكتوب فيه حتى منتصفه بقية مخطوط آخر كتب على هامش نهايته « بلغ مقابلة وتصحيحا ، والله أعلم » بقلم مغاير لقلم رسالة « الاغريض » •

أما ظهر الورقة الأولى من الرسالة (ورقة العنوان) فقد كتب فيه : « وهذه رسالة للشيخ تقى الدين السبكى ، سماها : الاغريض فى الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض » وهى قليلة أوراقها اذ تبلغ عدتها أربع ورقات فقط ، فى كل وجه خمسة وعشرون سطرا ، متوسط كلمات كل سطر عشر كلمات ، كتبت بقلم نسخ متوسط الجودة والوضوح وناسخها هو « محمد خطاب » ولا أعلم تاريخ نسخها •

كانت لى مع هذه الرسالة ثلاث وقفات •

الأولى : كانت لتحقيق نص الرسالة •

الثانية : كانت لتعليق حواشيها •

الثالثة : كانت لنقد مسائلها •

---

(١٣) الاتقان ٤٨/٢ ، وحاشية الانبابى ص ١٠٤ ، ١٦٥ ، وعروس الأفراح ج ٢٦٦/٤ •

(١٤) عروس الأفراح ج ٤ ص ٢٤٣ •

أما الأولى ، فانه اذا كنت لم أوفق الى العثور بغير نسخة واحدة مودعة فى مكتبة « طلعت » ولم أوفق أيضا الى العلم بموطن نسخة أخرى خارج « مصر » لاستقدامها على كثرة مراجعة وتنقيب (١٥) فاننى من بعد انتظار ومراجعة استغرقا اكثر من ثلاثين شهرا من بعد تحقيق نسخة « طلعت » والتعليق عليها ، أوشك ان اطمئن الى اننى فى حل من الانتظار من بعد ذلك ، فليكن اعتماد هذه النسخة الفريدة مع الاستعانة بما نقل منها فى المراجع الأخرى ، أو ما نقل فيها هى من مراجع أخرى • ولا سيما أنى لست ببدع فى الاعتماد على نسخة فريدة فى تحقيق النصوص (١٦) •

وقد التزمت فى تحقيق نص الرسالة بقواعده المقررة ، مع الحرص على أن أضع ما هو أقوم فى متن الرسالة ، وان لم يكن كذلك فى نص نسخة « طلعت » متى تحققت من صحة ما اعتمدته ، مع تسجيل ما كان غير صواب فى حاشية الرسالة •

وحرصت أيضا على أن أضع عناوين صغيرة للمسائل والقضايا ، لتكون عونا على تبيان مساق القول فيها •

---

(١٥) راجعت كثيرا من فهارس المخطوطات المحفوظة بمصر وخارجها، وقد تجاوز عدد ما راجعته عشرين فهوسا مودعة بقسم المراجع بالهيئة المصرية العامة للكتاب (دار الكتب المصرية) وكذلك راجعت سبعة وعشرين عددا من مجلة المورد العراقية وهى ذات عناية فائقة بنشر فهارس المخطوطات فى العالم ، وكذا نشر تحقيقها وراجعت عشرة اعداد من مجلة معهدالمخطوطات الصادرة من القاهرة وعددا صادرا من الكويت •

(١٦) لم تيسر لى لائحة تصوير المخطوطات بدار الكتب المصرية تصوير نسخة « طلعت » حيث يقل عدد أوراقها عن عشر ورقات ، مما تجعله اللائحة حجازا صلدا بين مثلى وبين تصوير مثل هذه الرسالة مما جعلنى لا أودع صورة الورقة الأولى والأخيرة هنا •

= **أما الثانية** التى كانت لتعليـــــق الحــــــــواشى ، فانى لم أشأ أن أثقلها بمناقشــــــة المسائل والقضـــــايا الواردة فيهـــا ، لان ذلك ليس من خصائص تحقيق النصوص أولا ، ولأنى فصلت القول فيه من بعد ذلك فى الوقفة الثالثة ، ولم أذكر من التعاليق فى حواشى التحقيق الا ما كان المقام يقضى بتعليقه بأقتاب قول « التقى » •

= **أما الثالثة** التى كانت لنقد مسائل الرسالة ، فقد شئت أن يكون نقدا تفسيريا فى كثير من مواقعه ، وأن أجعله كذيل للرسالة ، فقـــدمت نص الرسالة ، فصاحبها أمام ، لا يكون لمثلى ان يسبقه بالقول ، فضلا عن أنى شئت أن يعيش قارىء هذا النقـــد التفسيرى أولا مع الامام « التقى » فيتصور قوله دون أن يكون منى تعتيم أو تضليل ، وحينئذ يكون ذا اقتدار بالغ على أن يقوم عوجا فى فهمى وتفسيرى ، أو يسد تلمة فى منهجى وبيانى وان يهدينى الى ما يتحققه هو رشادا ، فان ذلك هو الحبيب الى ، بل هو الغاية التى لها شددت رحلى ، وأنضيت عيسى ، وعلى الله قصد السبيل •

• • •

النص المحقق

الاغريض فى الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض

تأليف الامام تقى الدين السبكى

ت ٧٥٦ هـ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

[تقسيم اللفظ باعتبار استعماله فيما وضع له] .

اللفظ ينقسم الى حقيقة ومجاز ، فالحقيقة : اللفظ المستعمل (١) فيما وضع له (٢) .

والمجاز : اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة (٣) .

---

(١) يقول أبو يعقوب السكاكى : « واعلم أنا لا نقول فى عرفنا استعملت الكلمة فيما تدل عليه أو فى غير ما تدل عليه حتى يكون العرض الأصلى طلب دلالتها على المستعمل فيه » (المفتاح ص ١٧٠ ، والتلويح على التوضيح للسعد ١/١٣٢) .

(٢) الوضع مطلقا هو عبارة عن تخصيص الشىء بالشىء بحيث اذا اطلق الأول فهم منه الثانى ، والوضع اللغوى تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه أى ليدل بنفسه لا بقرينة تنضم اليه « ينظر الابهاج فى شرح المنهاج ج ١ ص ١٩٢ والمطول ص ٣٤٩ .

(٣) لم يعتد النقى بغير الوضعى التحقيقى ، ولذا لم يختر مذهب القائلين بأن المجاز موضوع بالوضع النوعى أى التأويلى ، وقد خالفه ولده التاج فى جمع الجوامع فصرح بوضع المجاز وضعا ثانيا ، ووافقه فى الابهاج تبعا للبيضاوى صاحب المنهاج .

وهذا التقسيم ذكره الأصوليون (٤) •

تقسيم اللفظ باعتبار الوضوح والخفاء •

ينقسم اللفظ تقسيما آخـر الى « صريح » ، « وكنـاية » ، « وتعريض » • وربما يدخل مع الثلاثة « الظاهر » ، وهو قريب من « الصريح » ، لأن « الصريح » : ما دل على معنـاه دلالة قطعية ، « والظاهر » يدل ولكن دون قطع •

واما « الكناية والتعريض » فلا يدلان على المكنى (عنه) (٥) والمعرض به وانما لهما اشعار يحتاج الى قرينة أو نية •

* * *

[مذهب الزمخشرى فى الفرق بين المجاز والكناية] •

قال « الزمخشرى » (٦) فى تفسير سورة « آل عمران » فى قوله تعـالى :

= ينظر شرح المحلى لجمع الجوامع وعليه حاشية البنانى ج ١ ص٣٠٥ الابهاج فى شرح المنهاج للتقى وابنه التاج السبكى ج ١ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، والتلويح على التوضيح ج ١ ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، وتبيان البيان للبولاقى على حاشية الصاوى على شرح تحفة الاخوان ص ١٢ ، ٨٣ •

(٤) تنظر هـذه التقسـيمات فى الأحكام فى أصول الأحكام للآمدى ٣٧/١ ـ ٣٩ وشرح جمـع الجـوامع للمحلى ج ١ ص ٣٠٠ وما بعدها ، الابهاج للتقى السبكى وولده التاج ج ١ ص ٢٧١ وما بعدها ، والتلويح ج ١ ص ١٣٠ وما بعدها وغاية الوصول لزكريا الأنصارى ص ٥١ ، ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢١ وما بعدها •

(٥) زيادة عما فى الأصل اقتضاها المعنى •

(٦) محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشرى الملقب بجار الله •

=

« ولا ينظر اليهم » (٧) :

« مجاز عن الاستهانة بهم ، والسخط عليهم ، تقول : فلان لا ينظر الى فلان • تريد نفى اعتداده به واحسانه اليه » •

قال (٨) : « فان قلت : أى فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر ، وفيمن لا يجوز عليه ؟

قلت : أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية ، فان من اعتد بانسان نظر اليه ، وأعاره نظر عينه ، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان ، وان لم يكن ثم نظر ، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر » (٩) •

* * *

[تحليل كلام الزمخشرى] (١٠) •

أشار « الزمخشرى » هنا الى الفرق بين المجاز والكناية ، فجعله فى حق من لا يجوز عليه الحقيقة مجازا (١١) ، وفى حق من يجوز عليه

لغوى ، نحوى متكلم ، مفسر ، من أشهر علماء التفسير ت ٥٣٨ هـ • راجع ترجمته فى معجم الأدباء ١٤٧/٧ ، شذرات الذهب ١١٨/٤ ، النجوم الزاهرة ٢٧٤/٥ •

(٧) بعض الآية رقم ٧٧ من آل عمران •

(٨) أى الزمخشرى ، وهذا اللفظ من كلام التقى السبكى •

(٩) الكشاف جـ ١ ص ٤٣٩ (ط ١٣٩٢ = مصطفى الحلبى) •

(١٠) نقل هذا التحليل بشىء من تصرف البهاء بن السبكى فى عروس الأفراح جـ ١ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ غير أنه لم ينسبه الى والده التقى السبكى •

(١١) أى مجازا غير متفرع عن كناية مستفيضة تستحيل الى تصريح •

الحقيقة كناية ، ثم كثر فصار مجازا (١٢) ، فدل ذلك من كلامه على أنه حيث تمكن الحقيقة تصح الكناية والمجاز جميعا (١٣) بحسب ما تريد:

(أ) ان أردت نفى النظر حقيقة (ق أ ب) لتدل به على نفى الاعتداد والاحسان كان كناية .

(ب) وان أردت نفى الاعتداد والاحسان ، وعبر بنفى النظر كان مجازا (١٤) .

فالكتابة حينئذ قسم من أقسام الحقيقة (١٥) ، ولكن أريد بها الدلالة على شىء آخر هو معظم المقصود ، فلم يتصرف القائل فى اللفظ

---

(١٢) أى مجازا متفرعا عن كناية استحالت الى تصريح لكثرة استعمالها فى المكنى عنه حتى غدا كأنه المعنى الذى وضعت له العبارة وضعا أوليا .

(١٣) فى الأصل المخطوط (جمعا) . والتصويب من عروس الأفراح جـ ١ ص ٢٤٢ .

(١٤) مما لا يخفى انه المجاز ها ليس هو باصطلاح البيانيين الذى يشترط لصحته القرينة المانعة من ارادة المعنى الحقيقى بل هو باصطلاح الاصوليين الذين لا يشترط جمهورهم فيه القرينة المانعة ومما ينبغى أن نكون على ذكر منه أن الأصوليون يسووى بين المجاز والاستعارة ، فكل مجاز استعارة ولا يشترطون فى الاستعارة أن تكون علاقتها المشابهة .

(١٥) أى حين يطلق على العبارة أنها كاية ، فمجرد اطلاق مصطلح الكناية يعنى أن العبارة استعملت فى معناها الموضوع وضعا تحقيقيا ، ولكن لا لكونه المقصود الرئيس منها بل ليدل على معنى آخر هو معظم المقصود .

وهو قد جعلها قسما من الحقيقة وليست هى كلها لأنه حقيقة غير صريحة ، فالحقيقة قسمان .

بنقله عن مسماه حقيقة ولا تقديرا (١٦) ، ولكن أطلقه على معناه ، وأريد به الدلالة على غير معناه ، فيصح أو يجمل أن يقال انه ما ذكر المكنى عنه ، بل أخفاه وستره ، ولهذا سمى كناية (١٧) .

والمعنى المجازى ذكرته بلفظ نقلته اليه ، واستعملته (١٨) فيه مجازا ، فلذلك قيل فى الفرق بين المجاز والكناية :

ان المجاز ينافى الحقيقة وهو صحيح ، لان المجاز مشتق من الجواز (١٩) ، وهو العبور من الحقيقة الى المجاز (٢٠) ، والعبور

---

(١٦) النقل التقديرى هو النقل عما لم يسبقه استعمال المنقول فى المنقول منه كما فى المجازات التى لا حقائق لها ، لأنه ليس من شرط المجاز عند الجمهور أن يسبق استعماله فى المعنى المنقول منه .

(١٧) عبارته هذه تفيد أن اطلاق مصطلح الكناية على استعمال العبارة فى المعنى الموصفى للدلالة على غيره الذى لم يذكر اطلاق ناظر الى المدلول اللغوى لكلمة كناية ، فهو ينادى على أن المقصود بالعبارة لم يذكر ، وانما أخفى وستر .

(١٨) لعل عطف (استعملته) على (نقلته) يشير الى أنه لا يكتفى فى المجاز بمجرد النقل ، بل لابد من الاستعمال فيما نقل اليه ، أى لابد من قصد الارادة منه ، وهذا القصد لن يكون الا بملاحظة علاقة ولو فى عرف خاص .

(١٩) كلمة مجاز المشتقة من الجواز على وزن (مفعل) بفتح ميم الميزان وسكون فائه وفتح عينه ، ثم نقلت حركة العين الى الفاء ثم قلبت العين التى هى واو ألفا لتحركها بحسب الأصل وانفتاح ما قبلها بحسب المآل . والتقى جعلها مشتقة من المصدر (الجواز) نظرا لمذهب البصريين . فكلمة (مجاز) مصدر ميمى ، وقد فسره التقى بالعبور ، وكأن فيه اختيارا لهذا واعتراضا عن أنها اسم فاعل أى الكلمة الجائزة ، أو اسم المفعول أى المجوز بها ، وان كان تعريفه المجاز فى أول الرسالة يقضى باختياره انه الكلمة مما يتجاذب مع اختياره هنا .

(٢٠) الأفضل أن يقول وهو العبور من شئ الى شئ حتى لا يكون فى كلامه تسامح .

يقتضى المجاوزة • والترك فى شرط المجـاز ترك الحقيقة (٢١) فكيف تجتمع معه ؟ •

والكناية لا تنافى الحقيقة لانها هى الحقيقة نفسها (٢٢) •

* * *

[توجيه كون الكناية حقيقة مع استعمالها فى المكنى عنه]

نعم هنا بحث آخر :وهو ان الكناية اذا كانت مقرة على معناها الحقيقى لا يقال فيها انها لا تنافيه ، لاشعار هذا الكلام بالمغايرة (٢٣) •

فنقول : ان المقصـــود بالكناية لمـا كان هو المدلول عليه ـــ كالاعتداد والاحسان فى هذا المثال كان حقيقة لنظر بالعين ، وان كانت الحقيقة كالمطروحة ، لأنها ما قصدت لذاتها ، وانما قصدت للاستدلال

---

(٢١) التعبير بالترك ليس دقيقا لأنه لا يتلاءم مع واقع المجاز وموقفه من المعنى الحقيقى ، فالترك يقتضى التخلى بالكلية وانتهاء العلقة ، ومنه تركة الميت ، وقوله تعالى « انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله » (يوسف /٣٧) ، « وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » (البقرة /١٧) وسيأتى مناقشة ذلك فى فقد الرسالة بعد •

(٢٢) فى عبـارة « التقى » تسـامح ، فقد سبق له ان قال : الكناية قسم من أقسام الحقيقة ، وسيكرر ذلك من بعد ، وجلى ان قسم الشىء ليس هو نفسه الا تسامحا •

(٢٣) أى لا يقال انها لا تنافى الحقيقة ، لأن اثبات المنافاة ونفيها بين شيئين انما يكون ذلك بين متغايرين ، والكناية هى الحقيقة نفسها كما يقول التقى فكيف يرد نفى المنافاة بينهما ، وهما شىء واحد ذلك محصل الاعتراض
وممن قال ان الكناية لا تنافى الحقيقة السكاكى فى مفتاح العلوم •

بهـا ــ صار (٢٤) فى ذهن الناس أن الكنـــاية استعملت فى المعنى المكنى عنه •

ونحن لو سلمنا ذلك ما ضرنا (٢٥) ، لان استعمالهما فيه (٢٦) انما هو بطريق الدلالة (٢٧) عليه (ق ٢ أ) لمـا ذكرناه ، وليس بتصرف فى اللغة (٢٨) •

وهذا يشير اليه كلام « لازمخشرى » فى قوله : « ثم كثر حتى صـــار عبارة عن الاعتداد والاحسان » فاشترط الكثرة ، وصــيرورته عبارة عن شىء آخر غير معناه الأصلى ، وهما تصرفان فى اللفظ ، فعلم أن المجاز لابد فيه من ذلك بخلاف الكناية •

ولا تقول : ان هذا شرط فى المجاز مطلقا ، بل فى هذا الموضـــع وأمثاله مما يمكن فيه الكناية والمجاز يفرق بينهما بهذا •وفى الموضع

---

(٢٤) قوله (صار فى ذهن الناس) هو جواب (لما) وما بينهما اعتراض فكأن يقول ان المقصود بالكناية لما كان هو المدلول عليه صار فى ذهن الناس ان الكناية استعملت فى المعنى المكنى عنه •

(٢٥) أى ما ضرنا فى اعتبار الكناية حقيقة على الرغم من أنها صارت فى ذهن الناس استعملت فى المكنى عنه لا فى المكنى به (المعتى الموضوع للعبارة وضعا تحقيقيا) •

(٢٦) المراد بالاستعمال هنا القصد والارادة لا التلفظ بالعبارة •

(٢٧) سبق أن ذكرت ان « التقى » صرح فى أول الرسالة ان الكناية لا تدل على المكنى عنه ، وانما تشعر به ، فقوله هنا (بطريق الدلالة عليه) فيه تسامح •

(٢٨) أى ليس فيه نقل وعبور ، وذلك هو جوهر المجاز •

الذى تستحيل الكناية فيه يجعله مجازا فقط ، كاطلاقه على من يستحيل عليه النظر (٢٩) •

وقول « الزمخشرى » : « مجازا عما وقع كناية عنه » :

(أ) يحتمل أن يريد به أنه مجاز عن الاستهانة الذى هو كناية عنها فى حق من يجوز عليه النظر •

وهذا الاحتمال هو الذى يتعين حمل كلامه عليه •

(ب) ويحتمل أن يريد أنه مجاز عن نفى النظر الحقيقى فيمن يجوز عليه النظر الذى هو كناية عن الاستهانة (٣٠) •

★ ★ ★

(٢٩) يشير الى أن كلا من الكناية والمجاز فى هذا الموضع لا يمتنع المعنى الحقيقى لأمر فى خصوص المادة ، بل العقل مجوز امكانه ، غير انه فى الكناية ممكن غير مراد لا لذاته وفى المجاز المتفرع عن الكناية ممكن غير مراد لا لذاته ولا للانتقال منه •

وفى فهم التقى الجمع بين الكناية والمجاز فى هذا الموضع بارادتين مجاوزة لمراد المزخشرى أو لما يعطيه كلامه ، فاذا ترتب المجاز على الكناية فيما لا يستحيل فية المعنى الحقيقى لا يعنى الجمع بينهما فى احتمال العبارة الدلالة عليهما •

(٣٠) لعل « التقى » فهم احتمال قول الزمخشرى : « مجازا عما وقع كناية عنه » الدلالة على هذين الأمرين من النظر فى قوله عما وقع كناية عنه فان أريد بما فى (عما) المكنى عنه ، وأريد بالضمير فى (عنه) قوله (ولا ينظر اليم) أى نفى النظر فهو مجاز متفرع عن كناية لأن استعمال (ولا ينظر اليهم) فى الاستهانة لم يكن الا من بعد ارادة الاستهانة من نفى النظر ، ثم كرثت هذه الارادة حتى صارت كأنها المعنى الوضعى لها ، واستحالت الكناية الى تصريح فكان التجوز بقوله (ولا ينظر اليهم) عن الاستهانة وعدم الاعتداد والاحسان تجوزا به عما كان مكنا عنه بمعنى آخر •

==

[تفريق الزمخشرى بين الكناية والتعريض]

وقال « الزمخشرى » أيضـــا فى تفسير سورة البقرة ، فى قوله تعالى : « لا جناح عليكم فيما عرضتم به » (٣١) « فان قلت : أى فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت :

= الكناية : أن تذكر الشىء بغير تفظه الموضوع له » (٣٢) •

= والتعريض : ان تذكر شيئا تدل به على شىء لم تذكره (٣٣) ، كما يقول المحتاج للمحتاج اليه : جئتك لأسلم عليـــك ولأنظر الى وجهك الكريم •

=

وان أريد بمـا فى (عما) نفى النظـر ، وأريد بالضـمير فى (عنه) الاسـتهانة (المعنى المكنى عنه) فهو مجـاز عن المعنى الوضـعى وضـعا تحقيقيـا ، لأن (ولا ينظر اليهم) معناه الوضـعى (نفى النظر) ، وليس مجازا متفرعا عن كناية وان كان معناه الحقيقى غير مستحيل •

وواضح أن الاحتمال الثانى اقحام على الزمخشرى لأن هذا انما يكون مجازا بمفهوم الأصوليين •

(٣١) بعض الآية رقم (٢٣٥) من سورة البقرة ، وقد ذكرها هنا بغير حرف عطف والتـلاوة على (ولا جنـاح عليكم) وليس ذلك ببدع فقد فعله السلف وعلى رأسهم الامام الشافعى فى الرسالة راجعها ص (٢٣١ ، ٣٦١) بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ط (٢) سنة ١٣٩٩ هـ ـ دار التراث •

(٣٢) فى الكشاف بعده (كقولك طويل النجاد والحمال لطول القامة وكثير الرماد للمضياف) جـ ١ ص ٣٧٢ •

(٣٣) معنى (لم تذكره) أى لم يستعمل فيه اللفظ بأى وجه ، ولكنه فهم من السياق ، فهو من قبيل الافادة لا الدلالة •

ولذلك قالوا (٣٤) :

« وحسبك بالتسليم منى تقاضيا » (٣٥) وكأنه أمال الكلام الى عرض يدل على الغرض (٣٦) ، ويسمى التلويح (٣٧) ، لأنه يلوح (٣٨) منه ما يريده » (٣٩) .

---

(٣٤) القول جزء من بيت لتوبة بن حمير الخفاجى صاحب ليلى الأخيلية ، ينظر ديوان توبه بن حمير (الذيل) ط . بغداد سنة ١٣٨٧ هـ عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١٥٧/٣ ـ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر .

(٣٥) صدر هذا العجز « اروح بتسليم عليك واغدو بمثله » وفى بعض المراجع كالكامل للمبرد ١٠١/١ ـ طبعة ١٣٥٥ (أروح لتسليم عليك واغتدى) وبعد هذا البيت .

كفى بطلاب المرء ما لا يناله عناء وباليأس المصرح ناهيا

والزمخشرى حين أورد هذا الشطر لم يرد انه من قبيل التعريض ، وانما لتبيان ان الشعراء وغيرهم يتخذون من التسليم ذريعة الى طلبتهم دون أن يفحصوا عنها .

ومثله ما رواه المبرد فى الكامل (١٠١/١) من أن « المهلب بن أبى صفرة قال لبنيه : يا بنى اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا أى تبيانا فان من معانى القضاء ، البيان .

وكأن الشاعر يقول انى اروح متلبسا بالتسليم عليك وأغدو وفى هذا كفاية فى تبيان حاجتى لتقضى .

(٣٦) فى هذا اشارة الى وجه تسميته تعريضا ، ووجه افادته المراد .

(٣٧) قوله (ويسمى التلويح) يدل على أن هذه التسمية سابقة عليه وهو يسوى بين التعريض والتلويح ، وخالفه السكاكى فجعل التعريض غير التلويح التعريض كل كناية كان الموصوف فيها غير مذكور ، والتلويح : كل كناية بعيدة كثرت الوسائط فيها بين المكنى به والمكنى عنه . (المفتاح ص ١٩٣ ـ ١٩٤) .

(٣٨) الفعل يلوح مضارع لاح بمعنى ظهر ، أما عند السكاكى بمعنى أشار الى الشىء من بعيد . فافترقا .

(٣٩) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ .

[تحليل التقى كلام الزمخشرى]

وهذا الكلام من « الزمخشرى » يقتضى أن المعنى الذى يقصده بالكناية مذكور ، وهو احد الاحتمالين قدمناهما (٤٠) •

وعليه تكون الكناية قسما (ق ٢ ب) من أقسام المجاز •

★★★

[مذهب التقي السبكي فى الكناية]

وفصل المقال فى ذلك أنها تأتى تارة هكذا ، وتارة هكذا • فهى قسمان :

احدهما :

يراد بها (٤١) المعنى الحقيقى ، ليدل على المجازى (٤٢) •

فتكون قسما من أقسام الحقيقة •

والثانى :

أن يراد بها المعنى المجازى ، لدلالة المعنى الحقيقى (٤٣) الذى موضوع لفظها عليه ، فتكون قسما من أقسام المجاز (٤٤) •

---

(٤٠) قدمها عند ذكره كلام الزمخشرى فى الفرق بين الكناية والتعريض

(٤١) فى الأصل (يرى فيها) والتصويب من عروس الأفراح ٢٤٣/٤

(٤٢) بعده فى الأصل (لدلالة المعنى الحقيقى) وهى زيادة ناتجة عن انتقال عين الناسخ الى السطر الذى بعدها ، وهى لا تستقيم ، والتصويب من عروس الأفراح •

(٤٣) بعده فى الأصل (فيكون قسما من أقسام الحقيقى) وهى زيادة كسابقتها وتخليط لا يستقيم المعنى عليه ، والتصويب من عروس الأفراح •

(٤٤) نقل البهاء بن السبكى فى عروس الأفراح (٢٤٣/٤) هذا المذهب دون أن ينسبه لوالده ، بل قال : « وقد يقال أن الكناية قسمان ..

=

[توجيه عدم منافاة الكناية المجاز]

وقول من قال : ان الكناية لا تنـــافى المجاز يريد به أنه قد تأتى كذلك لمجيء (٤٥) بعض أقسامها عليه .

فهى اما حقيقة خاصة .

واما مجاز خاص

ومعنى قولنا « خاص » أن الحقيقة والمجاز يراد بهما معنياهما من حيث هما هما .

والكناية يراد بها المعنى الحقيقى من حيث كونه دالا ، والمعنى المجازى من حيث كونه مدلولا عليه (٣٦) ، فالكناية بينهما .

وبين كل من (الكناية) (٤٧) والمجاز عموم وخصوص من وجه :

= يصح أن يقال : الكناية أعم لانقسامها الى الحقيقة والمجاز .

= ويصح ان يقال (أ) خص لاعتبار قيد الدلالة فيها .

★★★

=

ونقل خلاصة المذهب كل من السيوطى فى الاتقان ٢/٤٨ ، والصبان فى البيانية ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، وبدر الدين الزركشى فى شرح جمع الجوامع ، وابن القاسم العبادى فى الآيات البينات .

(٤٥) فى الأصل (فمجيء) والتصويب من عروس الأفراح (٤/٢٤٣)

(٤٦) نقل البهاء السبكى فى عروس الأفراح (٤/٢٤٣) هذا التوجيه ثم أردفه بقوله : « ولعله المراد من اطلاق الفقهاء الكناية على المعنى المجازى .

(٤٧) فى الأصل المخطوط « الحقيقة » وذلك لا يستقيم قط مع ما بعده ولذا آثرت اثبات الصواب فى الأصل المحقق والخطأ فى الحاشية .

[العلاقة بين التعريض والحقيقة والمجاز]

وأما التعريض ، فأخص من المجاز مطلقا (٤٨) لا يصدق على المجاز ، لأنه انما يراد استعماله فى المعنى الحقيقى ، ولكن يلوح به (٤٩) الى غرض آخر (هو) (٥٠) المقصود ، فهو شبه الكناية اذا قصد بها الحقيقة •

وهو أخص من الحقيقة ، لأنها مرادة من حيث هى هى ، وهو انما يراد فيه الحقيقة من حيث اشعارها بالمقصود ، ولا بد فيها من قرينة حالية ، فان اللفظ المجرد لا يكفى فيها •

★ ★ ★

ولنذكر أمثلة يتضح بها المقصود :

= أما الحقيقة والمجاز ، فأمثلتهما كثيرة لا يحتاج الى ذكرها ، ولكن ننبه على شىء واحد •

---

(٤٨) فى الأصل (فاخص من الحقيقة مطلقا) وهو لا يستقيم مع المعنى والتقسيم وانما قلت ان التعريض أخص من المجاز مطلقا هو المستقيم لاعتبار قيد استعمال التعريض فى المعنى الحقيقى عند التقى السبكى ، بدليل ما بعد ذلك من قوله (لا يصدق على المجاز .. الخ) وبدليل قوله (وهو أخص من الحقيقة ، .. الخ) حيث لم يقيد هنا بقوله مطلقا ، لأن الحقيقة لا يلوح بمعناها الحقيقى الى آخر ، فهى والتعريض عند التقى السبكى يلتقيان فى استعمالهما فى الحقيقى ، وتعترفان فى أن التعريض يراد فيه الحقيقى من حيث اشعاره بالمقصود ، والحقيقة يراد المعنى الحقيقى لذاته ، فالأخصية بينهما مقيدة • وبين المجاز والتعريض مطلقة عند التقى السبكى

(٤٩) معنى يلوح به هنا أى يشار به من بعيد ، وهو هنا على مفهوم السكاكى من (يلوح) •

(٥٠) زيادة عما فى الأصل يقتضيها المعنى كما لا يخفى •

وهو أن (ق ٣ أ) انقسام المجاز ، وان تعدد على ما هو مستوفى فى أصول الفقه (٥١) كلها راجعة الى أن تكسو المجاز ثوب الحقيقة ، وتقصد التعريف به بذلك الوصف ٠

والكناية والتعريض ضده ، لانك تريد أن تستتر المكنى عنه والمعرض به ، فلا يظهر لغير من تريد ان تظهره له ٠

= وأما امثلة الكناية ، فمنها كناية الله ــ تعــالى ــ عن الجماع بالمس (٥٢) ، والافضاء (٥٣) ، والدخول (٥٤) ٠

وقولنا : « فلان تقى الثوب » أى منزه عن العيوب ٠

ويسمى تمثيلا وتشبيها ٠

ومنه قوله تعــالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحــم أخيه ميتــا فكرهتموه » (٥٥) ٠

---

(٥١) تنظر هذه التقسيمات فى كل من : الابهاج ٢٩٤/١ ، شرح المحلى لجمع الجوامع ٣١٧/١ وغاية الوصول لزكريا الأنصارى ص ٤٩ ، التلويح للسعد ١٣٧/١ ، ونسمات الاسحار لابن عابدين ص ١٠٧ ، وارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٣ أما مراجعها فى أسفار البيان فانها لا تخفى ٠

(٥٢) وذلك كما فى قوله : « لا جناح عليكم ان طلقتم النســاء ما لم تمسوهن » البقرة (البقرة /٢٣٦) ٠

(٥٣) كما فى قوله تعالى : « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض » (النساء /٢١) ٠

(٥٤) كما فى قوله تعالى : « وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نســائكم اللاتى دخلتم بهن » (النساء /٢٣) ٠

(٥٥) الحجرات /١٢ ٠

وضــابطه :

أن يقصد معنى ، فيذكر ألفاظا دالة على معنى آخر بتلك الألفاظ ، وذلك المعنى مثال للمعنى الذى قصدت (٥٦) .

ومنها الارداف : وهو ان يقصد معنى ، فتأتى بما هو مرادف له ، كقولك : « طويل النجاد » تريد طويل القامة (٥٧) .

وقسموا الارداف أقساما (٥٨) .

والكناية اقسا (ما) أخر يطول ذكرها (٥٩) .

★ ★ ★

= واما امثلة التعريض : فمنها قول الخاطب فى عدة الوفاة : انك لجميلة ، وما اشبهه (٦٠) .

---

(٥٦) راجع نقد الشعر لقدامة ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ، والجامع الكبير لابن الأثير ص ١٥٧ فهو يكاد يكون منقولا منه .

(٥٧) راجع نقد الشعر لقدامة ص ١٥٧ ، والعمدة لابن رشيق ج ١ ص ٣١٣ وقد سماه التتبيع وذكر أن قوما يسمونه التجاوز .

(٥٨) انظر أقسامه فى الجامع الكبير لابن الأثير ص ١٦٠ .

(٥٩) انظر الأقسام فى الجامع الكبير لابن الأثير ص ١٥٧ ، ومفتاح العلوم للسكاكى ص ١٩٠ وما بعدها .

(٦٠) جمع ابن جرير الطبرى عند تفسير قوله تعالى « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » (البقرة / ٢٣٥) نقولا عن الصحابة ومن بعدهم فى تفسير التعريض .

من ذلك ما روى عن مجاهد أنه قال : يقول انك لجميلة وانك لنافقة وانك الى خير . ومثله عن القاسم بن محمد وغيرهما : جامع البيان للطبرى ج ٢ ص ٣٢١ ، وكذلك تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٨٦ طبعة عيسى الحلبى .

ومما جاء منه قوله ــ تعالى ــ حكاية عن « ابراهيم » ــ عليه الصلاة والسلام : « بل فعله كبيرهم هذا » (٦١) أى أن كبير الأصنام غضب أن تعبد هذه الأصنام الصغار ، فكسرها (٦٢) فكذلك الله يغضب لعبادة من دونه .

• • •

[أقسام التعريض عند التقى السبكى]

وخطر لى هنا نكتة لطيفة : وهى أن أقول : التعريض قسمان :

= قسم يراد به معناه الحقيقى (ويشار به الى المعنى الآخر المقصود .

= وقسم لا يراد معناه الحقيقى (٦٣) بل (٦٤) يضرب مثلا للمعنى الذى هو مقصود التعريض ، وحينئذ يكون من مجاز التمثيل(٦٥)

---

(٦١) بعض من الآية رقم ٦٣ من سورة الأنبياء .

(٦٢) هذا يكاد يكون منقولا عن الجامع الكبير لابن الأثير . انظره ص ١٦٧ .

(٦٣) ما بين المعقوفين نقص فى الأصل ، والتكملة من عروس الأفراح (٤/٢٦٦) والاتقان للسيوطى ٢/٤٩ ، وشرح عقود الجمان ص /١٠٣ .

(٦٤) فى عروس الأفراح والاتقان (بل) وفى الأصل المخطوط بأن .

(٦٥) فى هامش المخطوط تعليق نصه (قوله مجاز التمثيل أى فيكون استعارة تمثيلية حيث شبه حال الله عز وجل اذا عبد غيره بحال كبير هذه الأصنام معها ، واستعيرت هذه الهيئة لتلك ، ولا يقال أن فيه تشبيها بالأضعف لأن التشبيه بالنظر لكون الأصنام مشاهدة محسوسة قوى . والله أعلم . شيخنا يوسف الحفناوى) .

ومنه هـذا المثال :

ومقصودى بذلك أن يكون هذا الكلام من « ابراهيم » الخليل ـ صلوات الله وسلامه (ق ٣ ب) عليه حقا على جهة ضرب المثـل ، ولا يحتاج معه الى تكلف جـواب ، ولا تعليـق على قوله « ان كانوا ينطقون » ، ولا شيء من ذلك .

« والله تعـالى اعلم »

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وكاتب أحـرفه الفقـير « محمد خطاب » (٦٦) غفر الله له ولوالديه ولمشـايخه ولاخـوانه المسلمين . « آمين »

---

(٦٦) لم أقف على ترجمة الناسخ .

[نقــد الاغــريض]

حرص بعض الوالجين عوالم الفكر الاسلامى على أن يتلمسوا ما يوهمون به أنفسهم أن فيه آية جلية ، وبرهانا قاطعا على احتضان الثقافات الوافدة العقلية الاسلامية ، فشكلتها أو لقحتها ، فأفرخت ما بين أيدينا من تراث فيما يزعمون (١) وهم أشد ما يكونون حرصا على ذلك فى علوم العربية ، ولاسيما « علم البيان » ، فما يكادون يبصرون « جملة » فى تراثنا البلاغى يخيل اليهم أنه يمكن أن نتلاقى من وجة ما مع « جملة » فى متروكات الثقافة « الهيلينية » حتى ينعقوا فى كل محفل بأن ذلك آية الآيات على أن البلاغة العربية كانت تقتات فتات موائد الثقافة « الهيلينية » ٠

---

(١) يقول المفكر البريطانى « برتراندرسل « : ان الأسلوب العلمى ولد من زواج مذهبين فكريين أتت بكل واحد منهما احدى الحضارات العظيمة أولهما : تنظير الاغريق ، وثانيهما : اختبار العرب ٠٠٠ فالاغريق هم الذين ابدعوا ما سميناه بالتنظير أى بناء الفرضيات ، وتخيل النظريات لتفسير واقع العلم الطبيعى ٠٠٠

أما العرب فقد كانوا سادة التجريب والاختبار يقيسون ويفحصون ويشاهدون ويدنون الا أن كل مذهب من هذين المذهبين يبقى وحده عاجزا عن أن يلد الأسلوب العلمى » ينظر ص ٦٢ من كتاب التراث والمعاصرة لاكرم العمرى سلسلة كتاب الأمة رقم (١٠) ٠

ظاهر كلام « رسل » انصاف العرب ، وحقيقته تضليل وهضم وظلم، فهم لم يعتمدوا تنظير الاغريق ، لأنه ترجم ترجمة لا تعين على الاستفادة منه بل اعتمدوا التنظير القرآنى والنبوى فى ارشاداته الموجزة الدقيقة ٠

راجع ان أحببت أيضا دعاوى « طه حسين » فى بحثه « تمهيد فى البيان العربى » مقدمة نقد النثر ، وكذلك مزاعم « شكرى عياد » فى دراسته كتاب الشعر لأرسطو « الباب الثالث » ٠

ومن ثم لقيت دعوى تأثير المنطق والفلسفة الاغريقية وهيمنتها على البلاغة العربية كثيرا من التجاوب ممن هم فى طور المراهقة الفكرية — وان تقدمت بهم السنون •

وتناست تلك الشرذمة عن عمد فاضح علاقة علم البيان بعلم أصول الفقه ، وهم اذ يتغافلون عمدا وتضليلا عن هذه العلاقة يعلمون أن مجرد لفت الأبصار الى ذلك العلم وعلاقته بالبيان سيبدد فى صرامة كل كثبانهم الرميلة ، ذلك أن علم أصول الفقه ، علم اسلامى قح ، ليس لأى من الثقافات غير الاسلامية أثر فيه ، وهو انما يقوم على منهج فكرى اسلامى متكامل الدعائم والبنية •

« منهج متميز يقوم على الاستقراء والاستدلال معا •• يتعاملون وفقه مع النصوص الشرعية مجتهدين للوصول الى الأحكام المتنوعة المتجددة ، وهو منهج فريد فى دقته وشموله » (٢) •

وهو يشكل نظرية فكرية قائمة فى تحقيق غايتها التشريعية على ادراك العلاقة بين الكلمة فى « النص » ومدلولها ، وطريق دلالتها ، ومسالك العلية ، فى ضوء كثير من الملابسات الماضية والشاهدة ، والداخلية والخارجية المحيطة بالنص •

ومن ثم كان للأصوليين مع قضايا اللغة مواقف عديدة وسديدة (٣)

---

(١) التراث والمعاصرة لأكرم العمرى ص ٦٤ — سلسلة كتاب الأمة القطرى عدد (١٠) •

(٣) يقول « التقى السبكى » :

« ان الأصوليين دققوا فى فهم أشياء من كلام العرب لم يصل اليهما =

ان كلا من علم أصول الفقــه ، وعلم الحـــديث دراية ورواية يشخصان اقتدار هذه الأمة على أن تكون سيدة عوالمها الفكرية الأخرى ولا سيما البيان وفلسفته ، فالعقلية التى أقامت هـــذين العلمين لن تعجز عن أن تقيم علما نظريا وتطبيقيا لبيانها تبرز فيه فلسفة هـــذا البيان ومناحى القول فيه ، ولاسيما أن بيانها لا يقل فى منزلته عندها عن منزلة علوم عقيدتها وتشريعها .

وليس معنى ذلك أننى أجحد اطلاع البلاغيين على ما ترجم من متروك الثقافة الهيلينية . فان ذلك ليس بالعيب بل هو الوعى والفقه الأكبر لواقع الحياة الفكرية فى أى أمة تسعى الى مجدها الزاهر . لكننى أنكر فى وعى بالغ أن يكون اطلاعهم هذا قد أقام وشكل ووجه مناهج الفكر ومناحيه فى الأمة الاسلامية .

=

النحاة ولا اللغويون ، فان كلام العرب متســع جدا ، والنظر فيه متشــعب فكتب اللغة تضــبط الألفاظ ومعانيهــا الظاهرة دون المعانى الدقيقة التى تحتاج الى نظر الأصولى ، واستقراء زائد على استقراء اللغوى مثاله :

« دلالة صيغة (افعل) على الوجوب ، و (لا تفعل) على التحريم وكون (كل واخواتها) للعموم .

وما أشبه ذلك مما .. لو فتشــت كتب اللغة لم تجد فيها شــفاء فى ذلك ، ولا تعرضا لما ذكره الأصوليون ، وكذلك كتب النحو لو طلبت معنى الاستثناء ، وأن الاخراج هل قبل الحكم أو بعد الحكم ، ونحو ذلك من كلام العرب ، وأدلة خاصة لا تقتضيها صناعة النحو ، ونحوه مما تكفل به أصول الفقه ، ولا ينكر أن له استمدادا من تلك العلوم ، ولكن تلك الأشــياء التى استمدها منها لم تذكر فيها بالذات بل بالعرض » .

الابهاج فى شرح المنهاج للتقى السبكى جـ ١ ص ٧ ـ ٨ .

وضع «أرسطو» وفلاسفة اليونان المنطق الصورى لضبط مسار الفكر ضمن اطار الفلسفة اليونانية ذات الطابع الوثنى والمادى •

وأقام المسلمون حضارتهم فى العصور الذهبية ضمن اطار تصورى وعقلى استمدوه من الكتاب والسنه (٤) وتبلور بشكل قواعد عقلية استخدمها النظار والفقهاء والاصوليون وانحرف بها بعض من عرفوا بـ «فلاسفة الاسلام» كـ «الفرابى» و «ابن سينا» و «ابن رشد» الذين أغترفوا من فلسفة اليونان ومنطقهم اكثر مما استمدوا من القرآن والسنة (٥) ولكن المنهج العقلى للفقهاء والاصوليين أستمر ينمو حتى عصر «ابن تيمية» الذى قام بحركة نقدية رائعة لتصحيح مسيرة الفكر الاسلامى، مستهدفا تخليصه من انحرافات الفلاسفة والمتكلمين، ردا قواعده العقلية الى الكتاب والسنة • لكنه لم يمتنع من الافادة من أية قاعدة عقلية لا تخالفهما أيا كان قائلها، فالاسلام دين الفطرة، والعقل وقواعده من الفطرة وما أنتجه العقل من قواعد لتنظيم الفكر يمكن أن ينضوى كثير منه تحت اطار التصور الاسلامى الذى يحدده القرآن والسنة، بحيث يشكلان سياجا لحماية الفكر من الانحراف عن الفطرة •

وبالتالى فنحن بحاجة الى استيحاء التراث لتكوين المنظومة

---

(٤) اعددت دراسة ارجعت فيها أصول الجمال البيانى التى تقوم عليها نظرية النظم الى نصوص من الهدى النبوى وسوف أنشر هذه الدراسة بعد حين ان شاء الله تعالى •

(٥) لم تكن ترجمات الثقافة الاغريقية حينذاك دقيقة بحيث تستطيع تشكيل الفكر العربى أو نسجه على منوالها •

وجلى ان الذين اغترفوا من فلسفة اليونان ومنطقهم لم يكن لهم دور فى البلاغة العربية على خلاف ما يزعمه طه حسين، وشكرى عياد •

العقلية لمنهجنا الفكرى ، مستمدين ذلك من الكتاب والسنة ومناهج الأصوليين والفقهاء » (٦) •

ومن ثم فان الذى أذهب اليه أن فى عودة العلاقة بين البلاغة وأصول الفقه لخدمة الاسلام والمسلمين تحقيقا لما تنادى عليه الحياة الراهنة ، كما أن حصر الدرس والبحث البلاغى فى مجال الاستمتاع الجمالى بالنصوص لأمر غير قويم ، فكأن الدرس والبحث البلاغى حينئذ ينهج نهج ما يسمى بأحدوثة « الفن للفن » •

ان المهمة البحث البلاغى الرئيسة ، بل الوحيدة عندى ، هى الفهم الدقيق لآيات الله والحكمة ، ليكون ذلك الفهم السبيل القويم الى اقامة حياة ماجدة مطيعة لله تعالى ولرسوله — صلى الله عليه وسلم •

وتحقيقا لذلك ينبغى أن يكون الدرس والبحث البلاغى وثيق الاعتلاق — مرة أخرى — بعلم أصول الفقه كى يستطيعا معا تقديم ما تحتاجه الحياة الراهنة من تشريعات هى ساكنة فى قرار آيات الله والحكمة تقديما دقيقا محررا •

● ● ●

ورسالة « الاغريض » للتقى السبكى انما هى ثمرة تلاقى علم أصول الفقه وعلوم العربية ، ولا سيما علم البيان فى فكر صاحبها « التقى » •

وهو قد ساق القول فيها مساقا يتجاوب مع تكوينه الأصولى ، وهو تكوين يتخذ موقفا من الكلمة ودلالتها يحيط باعتباراتها من ميلادها ووضعها الى قرارها فى فهم السامع وتصوره •

---

(٦) التراث والمعاصره لأكرم العمرى ص ٧٠ = سلسلة كتاب الأمة القطرى عدد (١٠) •

= بيـــات ذلك اجمـــالا :

أن تأدية المعنى بالكلمة على أساس موضوعى يستدعى النظر اليها من عدة اعتبارات :

الأول : من حيث وضع الواضع لها ازاء دلالة مركزية •

الثانى : من حيث وجه دلالتها على ذلك بيانا وخفاء •

الثالث : من حيث استعمالها •

١ ـ فى منظور الاعتبار الأول (وضع الواضع) •

٢ ـ فى منظور الاعتبار الثانى (البيان والخفاء) •

الرابع : من حيث سبيل فهم السامع المعنى وتصوره •

تفصـــيل الاجمـــال :

= استدعى النظر الى الكلمة بالاعتبار الأول : « وضع الواضع لها ازاء دلالة مركزية » الى تفسيمها الى اربعة اقسام :

أ ـ خاص (٧) •

ب ـ عـــام (٨) •

جـ ـ مشترك (٩) •

د ـ مؤول (١٠) •

---

(٧) هو ما دل على معنى واحد على سبيل الانفراد •

(٨) هو ما دل على معنى واحد على سبيل الاشتراك بين الأفراد •

(٩) هو ما دل على معان متعددة من غير ترجيح بعض على بعض •

(١٠) هو ما دل على معان متعددة مع ترجيح بعضها على بعض • وقد اسقط « صدر الشريعة » فى توضيح التنقيح • المؤول وأدخله تحت المشترك •

= واستدعى النظر بالاعتبار الثانى « وجه الدلالة » بشقيه الى تقسيمها الى أربعة أقسام لكل شق من شقى وجه الدلالة :

أولا : اقسام وجه البيان :

أ ـ ظاهر (١١) •

ب ـ نص (١٢) •

ج ـ مفسر (١٣) •

د ـ محكم (١٤) •

---

(١١) هو مادل على المعنى دلالة ظنية أى راجحة تحتمل غيرها •

(١٢) هو ما دل على المعنى دلالة قطعية • فالظاهر والنص على هذا متقابلان باعتبار الاحتمال والقطع ، وان يكن مشتركين باعتبار الظهور والبيان •

(١٣) هو مادل على المعنى دلالة قطعية لا تحتمل التأويل بسبب معنى فى اللفظ أو غيره ، فهو أعلى درجة من « النص » لأن النص وان دل دلالة قطعية الا أنه يحتمل التأويل •

(١٤) هو ما دل على المعنى دلالة قطعية لا تحتمل النسخ بسبب معنى فى ذاته أو فى غيره ، فهو أعلى درجة من المفسر لأن المفسر يحتمل النسخ •

تتمثل الأقسام الأربعة فى قوله تعالى : «فسجد الملائكة كلهم أجمعون»

= قوله « سجد » محكم لأنه دل على معناه دلالة قطعية ، وهو اخبار من الله تعالى واخبار الله لا تحتمل النسخ كما هو محفوظ مشهور •

= قوله « الملائكة » ظاهر ، لأنه جمع يدل على العموم دلالة ظنية لا قطعية •

= قوله « كلهم » نص ، لأنه يدل على العموم دلالة قطعية تحتمل التأويل •

= قوله « أجمعون » مفسر ، لأنه يدل على العموم قطعا من غير تأويل •

ثانيا : أقسام وجه الخفاء :

أ ـ خفى (١٥) •

ب ـ مشكل (١٦) •

ج ـ مجمل (١٧) •

د ـ متشابه (١٨) •

واقسام هذا الشق تقابل أقسام الشق الأول على الترتيب :

الظـاهر : الخفى •

النص : المشكل •

المفسر : المجمل •

المحكم : المتشابه •

* * *

= واستدعى النظر اليها بالاعتبار الثالث [الاستعمال] بوجهيه :

---

(١٥) هو ما خفى معناه لعارض فلا ينال الا بطلب •

(١٦) هو ما أشكل على السامع طريق الوصول الى معناه فى نفسه لا لعارض ، فلا ينال الا بطلب وتأمل •

والفرق بين الخفى والمشكل يتجلى فى أن الخفى بمنزلة رجل اختفى فى بيت ليس فيه أمثاله ، فانه يوقف علية بمجرد طلبه •

والمشكل بمنزلة رجل اختفى فى بيت فيه أمثاله وأشكاله فان مجرد طلبه لا يوقف عليه بل لابد معه من التأمل فى أشكاله •

(١٧) هو ما تواردت فيه المعانى على اللفظ بلا رجحان فى الارادة ، فاشتبه اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالاستفسار ، ثم الطلب والتأمل

(١٨) هو ما انقطع رجاء معرفة المراد منه •

(أ) استعمالها فى منظور (الوضع) الى تقسيمها الى قسمين :

١ ـ حقيقة   ٢ ـ مجاز

(ب) استعمالها فى منظور [التصريح والستر] الى تقسيمها الى قسمين أيضا :

١ ـ الصريح   ٢ ـ الكناية

غير أن قسمى الوجه الثانى [الصريح والكناية] لا يقابلان قسمى الوجه الأول [الحقيقة والمجاز] .

★ ★ ★

= واستدعى النظر اليها بالاعتبار الرابع (سبيل فهم السامع المعنى) الى تقسيمها الى عدة أقسام .

اختلفت وجهات النظر فيها بين الشافعية والأحناف ..

أولا : الشافية قسموه قسمين :

(أ) المنطوق (١٩) .

(ب) المفهوم (٢٠) .

وتحت كل قسم انواع يضيق المقام عن تفصيل القول فيها (٢١)

---

(١٩) هو ما دل عليه اللفظ فى محل النطق أى فى مقام ايراد اللفظ .

(٢٠) هو ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق ، فالدلالة فيه ليست وضعية بل انتقالية .

(٢١) راجع ان أحببت : شرح جمع الجوامع للمحلى ، وعليه حاشية البنانى ، وتقرير الشربينى ١/٢٣٥ ـ ١٤٥ ، وغاية الوصول للانصارى ص ٣٦ ـ ٣٨ ، وارشاد الفحول ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

ثانيا : الأحناف قسموه الى أربعة انواع :

أ ـــ سبيل العبارة (٢٢) ٠

ب ـــ سبيل الاشارة (٢٣) ٠

ج ـــ سبيل الفحوى (٢٤) ٠

د ـــ سبيل الاقتضاء (٢٥) ٠

---

(٢٢) معناه ، دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له سواء كان ذلك المعنى عين الموضوع أو جزءه أو لازمه المتأخر ٠

والمراد بالسوق هنا مجرد التكلم باللفظ لافادة معناه سواء كان سوقا أصليا أو لا ٠

(٢٣) معناه دلالة اللفظ على المعنى غير المسوق له اللفظ سواء كان عينه أو جزءه ، أو لازمه ٠

(٢٤) معناه دلالة معنى فى اللفظ من حيث اللغة على معنى آخر ٠ وقد تسمى الفحوى لحن الخطاب ، ومفهوم الموافقة ، لأن مدلول اللفظ فى حكم المسكوت موافق لمدلوله فى حكم المنطوق اثباتا ونفيا وهو يقابل مفهوم المخالفة والاحناف لا يقولون بمفهوم المخالفة فى كلام الشارع ٠ وانما هو مصطلح الاصوليين الشافعية ٠

(٢٥) معناه دلالة اللفظ على اللازم المتقدم للمعنى الموضوع كدلالة المعلول على علة غير مساوية له ٠

فاللازم فى دلالة الاقتضاء يكون متقدما ، وفى العبارة والاشارة يكون متأخرا ٠

راجع ان أحببت : التلويح على التوضيح للسعد جـ ١ ص ٢٤٨ وما بعدها ونسمات الأسحار لابن عابدين ص ١٤٣ ــ ١٥١ ٠

كل نظر وتقسيم من هذه الانظار والاقسام له فى عالم العربية على اختلاف علومها مكان لا يقل عن مكانه فى علم اصول الفقه ، وان يكن التقسيم بالاعتبار الثالث (الاستعمال) بوجهيه ، وبالاعتبار الرابع (سبيل فهم السامع) أرسخ مقاما ، وأوسع مكانا فى علم البيان كما لا يخفى على ذى معرفة بيانية ، فان حديث البيانيين عن الدلالة، وسبل فهم المعنى وقرائنه المتعددة حديث رحب المجال ، عميق الغور .

« للنقد بقية »

